المحاضرة الثانية :

**التوجه النظري للعلاج النسقي:**

لقد تطلب البناء النظري للمقاربة الأسرية النسقية استعارة العديد من المفاهيم و ذلك ضمن ميادين

كثيرة و متنوعة مثلما تمّت الإشارة إليه، أهمها هي السبرانية ا ل N. Weiner ، والتي كانت

المنطلق في بروز المقاربة النسقية، و تتلخص أهم مبادئ هذه المقاربة في تلك

الخاصة بالنظرية العامة للأنساق ل Bertalanffy وأيضا مبادئ نظرية الاتصال التي استنبطت

من خلال أعمال مدرسة Palo Alto بزعامة Bateson ، وهي كلها مبادئ أساسية

في فهم الديناميكية العلائقية و أسس التواصل في إطار النسق الأسري .

**النظرية العامة للأنساق و مبادئها**:

يعتبر النسق على أنه نموذج رياضي تم تطبيقه على المجموعات الإنسانية، وهو مجموعة من العناصر

وسماتها )خصائص العناصر(، وهو يتواجد في وسط حيث يحافظ مع هذا الأخير على التفاعلات ويشكل تحت أنظمة )أنساق( التي لها علاقات فيما بينها. ويقوم النسق على مبادئ جامعة نذكر منها:

**مبدأ الكلية - (Principe de totalité) :**

يعتبر النسق المفتوح على أنه "كل" في انسجام وظائفيته، ه و يملك إذن ميزة خاصة

وهي أنه وحدة لها قيمة أكبر من مجموع أجزائها.

**التغذية المرتدة - (Rétroaction) :**

يدخل مبدأ التغذية المرتدة فكرة التأثير المتبادل داخل نفس النسق، وهو ما يقودنا إلى

فكرة السببية الدائرية. تسمح السببية الدائرية بتوضيح أن سلوك الفرد يكمن أثره في سلوك

الآخر، والذي يؤثر بدوره على سلوك الأوّل، هذا داخل دائرة أو حلقة والتي عادة ما يستحيل

معرفة بدايتها ونهايتها. إذ غالبا ما نفضل أن نحدد المعنى الذي نعطيه للأحداث بالاستعانة

بالسببية الخطية كأن نقول أن )أ( هو سبب حدوث )ب(، غير أن هذه الطريقة لدر اسة العالم

الفيزيائي لا يمكن تطبيقها على الكائنات الحيّة، فإذا أردنا أن نتوصل إلى فهم أنساقها لابد أن ندمج

التفاعلات مما يسمح بالسببية الدائرية.

**المحصلة المساوية - (Equifinalité) :**

إن النسق المنفتح يكون أكثر مرونة من النسق المنغلق فيما يتعلق بالطريقة التي يتعامل بها

مع المدخلات الآتية إليه. وما يميّز النسق المنفتح أن الناتج النهائي يمكن تحقيقه

وإنجازه من خلال مجموعة متنوعة من الطرق المختلفة، ول و أغلق أحد الطرق، أو فشل أحد

المكونات في أداء وظيفته فإن هناك طرقا بديلة ومكونات أخرى متاحة. وبمعنى آخر يمكن

الوصول إلى نفس الهدف بطرق مختلفة وهو ما يسمى بمبدإ المحصلة الواحدة )المساوية(،

حيث يمكن أن تؤدي عمليات كثيرة مختلفة إلى نفس النتائج أ و نفس المحصلة .

يعتبر النسق أحسن شرح لهذا المبدأ، ولفهمه لابد من تحليل التفاعلات التي تحدث

داخل النسق خلال ملاحظتنا له وليس في أصلها.

**مبدأ التوازن الحيوي - (Homéostasie) :**

إن البحث عن التوازن الذي تمليه الحاجة إلى البقاء على الحالة الأصلية هي

معلومة مهمة تسمح بفهم حاجة النسق الإنساني للتوازن الحيوي من أجل ضمان هويته

وبقائه، غير أن الجانب السلبي هو وجود مقاومة أمام التغيير ممّا يكبح الإمكانيات التكيّفية

للنسق لتغيي ا رت في نسق أكبر.

فقد أدخل Jackson مفهوم "التوازن الحيوي الأسري" بعد أن لاحظ أنه إذا

تحسّنت حالة المريض فإن لهذا غالبا انعكاس خطير على أسرة المريض العقلي )اكتئاب،

حادث عرضي سيكوسوماتي، إلخ( فاستنتج أن هذه العرضية التي يحملها مختلف أعضاء

النسق إنما ترجع إلى "ميكانيزمات توازنية" التي يكمن دورها في إرجاع النسق المضطرب

إلى توازنه المرهف ) délicat .)

**مبدأ الاتجاه نحو الحياة والنمو - (néguentropie) ومبدأ الاتجاه نحو الانحطاط**

**(entropie)** :

يتحكم في النسق إمّا مبدأ الانحطاط )حالة من اللاتنظيم المتزايد ونقص في الطاقة(،ومعناه أنه يسير

إلى نهايته. أو مبدأ النمو )زيادة معتبرة في الطاقة( وهو ما يدفعه إلى النمو، ويكون في هذه الحالة مدفوعا من الخارج أي مع مساعدة المحيط، وعليه فإن كل نسق يسير إمّا نحو الزوال أو يتحتّم عليه النمو، إن من خصائص نسق الأسرة أنه ينمو ويتسع مع دخول عناصر جديدة، فنسق الأسرة بدون

أطفال غير نسقها بعد قدوم عدّة أطفال، ولا شك بأن هناك قوانين تستحدث وأخرى تستبدل تبعا لهذه العناصر.